لَوْ أنّ ذلك دَائِم

رُوي أنه كان لزهير ولد اسمه سالم، جميل المحيّا، حسن الشعر، ألبسه والده بردتين كانتا قد أُهديتا إليه، فركب فرسه وسار بين العرب إلى أن مرَّ بامرأة في موضع يقال له «النتاءة»، فقالت: ما رأيت كاليوم رجلاً ولا بردتين ولا فرساً. فعثر به الفرس، وٱندقت عنقه وعنق الفرس وٱنشقت البردتان فقال زهير يرثي ولده:

[من الطويل]

رَأتْ رَجُلاً لاقى مِنَ العيشِ غبطةً
وَأخْطَأهُ فِيها الأمُورُ العَظائِمُ(١)

وَشَبّ لهُ فيها بَنُونَ وتُوبِعَتْ
سَلامَةُ أعْوام لَهُ وغَنَائِمُ

فأصْبَحَ مَحْبُوراً يُنَظِّرُ حَوْلَهُ
تَغَبُّطَهُ لوْ أنّ ذلكَ دائِمُ(٢)

وعندي مِنَ الأيّامِ ما ليسَ عندَهُ
فقلتُ: تَعَلّمْ إنّما أنتَ حالِمُ

لَعَلّكَ يَوْماً أن تُرَاعَ بِفاجِعٍ
كمَا رَاعَني يَوْمَ النُّتاءةِ سالِمُ

(١) الغبطة: حسن الحال أو المسرّة.
(٢) الحبور: السرور والنعمة أو حسن الهيئة.